

محادثة السرطان

داه السرطان من الادواء التي اعيا الاطباء كشف سببها ووصف علاج يشفي منها. وقد قرأنا في مجلة لندن الانكليزية مقالة فيه لاحد كبار الجراحين فلفحصناها بما يأتي
ان داه السرطان من اعسر ما اشكل على الاطباء والجراحين منذ التديم الى هذا اليوم مع انهم لم يألوا جهداً في سبيل البحث للوصول الى الدواء الثاني. على ان قصورهم عن التوصل الى ذلك الدواء لا يجب ان يبعث فينا القنوط والياس لان العالم كله ينتظر اليوم بفروغ صبر وبنوة اذ ملأه الآمال حل هذه المشكلة الغامضة

والعقدة في كل ذلك راجعة الى جهل اسباب العلة فحتى عرف الاطباء تلك الاسباب تمام المعرفة لم يبق في سبيلهم ما يعوقهم عن معرفة الدواء. ولقد ادعى بعضهم ان الملح اعظم تلك الاسباب ويرهن على ذلك بقوله ان السرطان غير معروف بين القبائل المتوحشة التي فلما تأكل الملح. وان اكثر الحيوانات الاليفة التي تأكله تكون هدفاً لها ولم يخلاف الخنازير التي لا تأكله فلا تصاب بالسرطان. ويقال ايضاً ان هذا الداه يندر وجوده في السمور وفي المعامل حيث يقل اكل اللحم ويكثر حيث يكثر الناس من اكل اللحم المملح ولكن جميع هذه الادلة واهنة غير مقنعة وكل ما يمكننا ان نقوله عن اسباب السرطان هو اننا لا نعلمها حتى الآن

وانتفع علاج معروف الآن لهذا الداه سكين الجراح. ولكن الجراح والمريض كليهما يعانان حق العلم ان الجسم عرضة لعودة العلة في المستقبل. فلا يكاد عضو يختص منها حتى تظهر في عضو آخر. وهي تفنك بالبشر فكما ذكرنا فقد كانت الوفيات خمسة بالمائة من الذين يصابون بها فبلغت الآن عشرة في المائة ومات بها سنة ١٩٠١ في مدينة لندن وحدها ٤٢٥١ شخصاً وفي ذلك زيادة عن كل السنين التي سبقت مما يدل على ان انتشار العلة آخذ في الازدياد. ولكن الاطباء مختلفون في امر تلك الزيادة مع ان الاحصاءات تدل على ان الوفيات بالسرطان اليوم هي ضعف ما كانت عليه منذ نصف قرن ويقول جمهورهم ان ذلك لا يدل على ازدياد العلة بل يرجح ان الزيادة ناتجة عن تقدم الطب تقدماً جعل التشخيص الطبي ادق مما كان في القديم حيثما كان كثير من الوفيات بالسرطان ينسب الى غيره من العلل

اما السرطان فهو خراج من نوع الخراجات الخبيثة. وام خواصه النمو المستمر اي انه متى ظهر فلا بد من نموه ثموراً لا يتوقف عند حد بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي اذا بلغت

حدًا معلومًا من التور توقف . ومن خواصه ايضا أنه يمتد الى كل الجهات المجاورة ولا شيء يصدّه او يمحصره . فالسرطان في الشفة مثلا يمتد الى ما يجاورها كالثة وغيرها بخلاف الخراجات البسيطة او غير الخبيثة فان لها جدارا يمحصرها في مكان واحد

ومن خواصه ايضا أنه اذا استؤصل فمن المرجح إنه يعود ثانية في المستقبل . وانه اذا ظهر في مكان من البدن ظهرت خراجات اخرى من نوعه في اماكن اخرى وتسمى هذه الخراجات ثانوية . فالسرطان في الثدي كثيرا ما يسبب سرطانا في الرئة او الكبد او في غيرها مما لا يظهر بينه وبين المكان الاول اذ في علاقة . ثم ان السرطان يتقرح ويصير في درجاته الاخيرة مؤلما جدا في الطالب . وقد يسبب تسهما في السم وقدانا في قابلية الطعام الى ان ينتهي الاجل بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي لا تتقرح الا في النادر ولا تكون مميته الا اذا ظهرت في عضو من الاعضاء الرئيسية اي اللازمة للحياة

قلنا انما ان اسباب هذه العلة مجهولة او لا تزال في معرض الظن واقرب هذه الظنون الى الاحتمال ما يأتي

الاول ان العلة مسببة عن حي من الاحياء الصغيرة التي تدخل الجسم وتنفيد . وبناء على هذا الرأي قام جمهور من الباحثين واجتهدوا في اكتشاف هذا الحي وذهب بعضهم الى انهم عثروا عليه ولكن ظهر بعد البحث المدقق ما ابطل دعواهم . على ان ذلك لم يشبط عزيمه غيرهم من الذين لا يزالون حتى هذا اليوم يوالون البحث والتتبع

والرأي الثاني هو ان السرطان مسبب عن فساد في حيوية الخلايا ناتج عن تهيج محلي والرأي الثالث هو ان هذه العلة ناتجة عن مواد تؤكل مع الطعام تؤثر في بعض الخلايا تأثيرا رديا فتسبب السرطان . ويقول آخرون ان اجهاد المجموع العصبي يعد الجسم للسرطان ولذلك كثر عدد المصابين به في هذا العصر لكثرة اجهاد القوى العصبية

اما سبب عودة السرطان بعد استئصاله فيظن أنه راجع الى عدم وجود كيس له او حلة يصد امتداده في الجسم وان خلاياه او مغزلاته تحترق انسجة الجسم الصحيحة وتؤثر فيها . فاذا استؤصل القسم الظاهر من الخراج بقي قسم آخر غير ظاهر . يؤيد ذلك انه اذا اُسعت عمية القطع حتى شملت جانبا كبيرا كما حول السرطان ترشح الشفاء منه . ثم ان الخراجات الثانوية اي التي تنمو بعد استئصال الخراج الاول مسببة على ما يظهر عن مرور بعض المواد الحاملة لجراثيم العلة في الاوعية الليمفاوية او الدموية . ومما يستحق الملاحظة ان تركيب الخراجات الثانوية يماثل تركيب الخراجات الاولى ككل الماتلة

لما كانت معرفتنا بالدواء هي على قدر معرفتنا بالداء فاحسن ما يمكننا ان نصفه لهذه العلة هو استعمالها بعملية جراحية مع انها فلما نتيج . وقد ذكرنا سبب عدم نجاحها وهو انه قد يبقى شيء من الانسجة فيه جراثيم العلة او قد تكون جراثيم العلة سرت في البدن الى اماكن اخرى . مثال ذلك اننا نجد السرطان في ثدي امرأة فنستأصله كله فتبقى منه حسب الظاهر وتبقى سليمة سنتين او اكثر الى خمس عشرة سنة ثم يظهر السرطان في كبدها او رثتها او دماغها وهذا السرطان مثل الاول تماما لان هذه الاعضاء كانت مصابة به وقتما تزغ الثدي المصاب ولكن لم يكن سبيل لمعرفة ذلك ولا داء يختلف في سرعة سيره وبطئه مثل السرطان فقد يظهر ويبلغ حده في ثلاثة اشهر وقد لا يتكامل في اقل من عشرين سنة . وافضل نصيحة يُصح بها من يظن ان يدسرطانا ان يبادر الى الجراح ليزعه قبلما ينتشر في بدنه . وهذا العلاج على قلة فائدته هو انجح علاج لعلة حتى الآن . وفيه مركزا ضعف الاول ان الجراح لا يعلم حينما يزغ السرطان انه استأصله كله والثاني ان السرطان في درجاته الاولى لا يكون مؤلما حتى يحتمل المصاب به على الاتجاه الى الجراح ليزعه فتضيع افضل فرصة لاستئصاله . وظهور السرطان خفي وسيره بطيء حتى لا يشعر به المصاب الا حينما يتفاقم شره . وفي كل اسبوع يأتينا اناس فيهم سرطان ظاهر ويقولون انه لم يكن فيهم قبلا مع اني متأكد انه كان فيهم منذ شهور كثيرة

ومع ان الاحوال الحاضرة تكاد تضعف فينا الرجاء الا انها ليست باسثة على اليأس كما قلنا سابقا لاسيا وان اعظم الثقات يعتقدون ان المستقبل ميكشف لهذا الداء علاجا ثابتا افضل من سكين الجراح . وقد انقطع كثير من الاطباء لدرس هذا الموضوع والبحث فيه بتدقيق ولا ريب ان اتعابهم لن تذهب سدى

واحسن الوسائل التي يستعملونها في مخاربة هذا الداء هو معالجة المصاب به باشعة النور وافضلها واشهرها اشعة رنجن التي ظهرت فائدتها في شفاء مرض الآكلة الذي هو نوع من انواع السرطان . وقد علم ان لها ايضا فائدة عظيمة في تخفيف الآلام في بعض انواع السرطان وانها تشفي احيانا الوجوه المتقرحة وانها كثيرا ما تقلل نمو البثور . على اننا لا يمكننا ان نجزم بتعام فائدتها الا في داء الآكلة . ولما كانت معرفتنا بهذه الاشعة حديثة كان لنا عظيم الامل ان تزداد تلك المعرفة فتزداد فائدتها

ثم ان السرطان قد يشفى من نفسه في بعض الاحيان وقد شوهد ذلك حتى في الذين كانت العلة قد تمكنت منهم وهذا يدل على ان شفاءه ممكن . فاذا كانت الانعالم الجديدة

الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادراً فلا يعدد انما تمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشنون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثاً بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منه فاقام العلماء لجائناً مخصوصة لهذا البحث وجمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكثرا هذا العمل واتخذت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين ينتشون عن علاج السرطان ينظرون في كل علاج يعرض عليهم مهما كان ويختونه وحتى الآن لم يجدوا علاجاً شافياً . ومما يفتشون عنه جغرافية السرطان اي الاماكن التي بكثر انتشاره فيها فوجدوا انه اكثر في الاماكن الواطئة التي تنمرها مياه الانهر منه في الاماكن العالية . ومن الغريب انه يتردد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصاب غيرهم . ومن المحتمل انه من الامراض المعدية اذ قد اصيب به رجل وزوجته . وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصله وعن دوائه في انكثروا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتحدة بقضون الايام في البحث والتنقيب وتبدلا يعودون بطائل ولكن اذا وثق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعه فائدة لا تقدر وينظر اليه كأكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سر القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد . وقد رأيت انما تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خيال لهم حصل الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتد فيها الجدل قديماً وحديثاً بين الالهيين والطبيعيين وقد جرد الكلام على القدر امتاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمنه حل كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تجديد كل مخلوق يجدد الذي يوجد عليه من حسن وفتح وقبح وضرر وغير ذلك . والقدر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معين وسبب معين . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الاخي في اعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد . فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم بغيره . فكل مقتضى مقدر وليس كل مقدر مقتضى . فالتقدير ما لم يكن مقتضياً يرجح ان يدفعه الله . ومعنى